المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاً ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك لنظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

رفع الابهام عما جاء به الاستفهام

قد كنت اطلعت في باب المناظرة والمراسلة من الجزء التاسع من المجلد السادس عشر من مقتطفكم الاغرّ على جملة عنوانها (الاستفهام من ذوي الافهام) لحضرة الفاضل الوردني تضمنت أنه اطّلع في كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق على جمل تفيد ان جماعة من اجلاء ائمة العربيّة المتقدمين اشكلت عليهم معاني أحرف من حروف المعاني منهم الفراء فانه قال اموت وفي قلبي شيء من حتّى والكسائيّ فانه مات وفي صدره حزازات من الفاء العاطفة والسببيّة الخ والبزيديّ فانه مات وفي رأسه صداع من الواو العاطفة والاستئنافيّة الخ والزمخشريّ فانه مات وفي كبده قروح من لام الاستحقاق والاختصاص الخ ثم ذكر ان الذين اتوا بعدهم لابد ان اوضحوا ما اشكل عليهم وطلب من ذوي القرائح الراقية والافكار الثاقبة التكرم بايضاح معاني تلك الاحرف

واني مع كوني لست من ذوي القرائح والافكار كنت قد عزمت على كتابة اجابة عن هذا الاستفهام ولكني اعرضت عن ذلك لامرين

احدهما ان معاني تلك الاحرف مبينة على وجه محرّر مستوفًى في كثير من كتب علم العربيّة المهمة كشرح الحاجبيّة لنجم الائمة الرضى الاستراباديّ والجنى الدّاني ورصف المباني ومغني اللبيب وشروحه وغيرها من كتب المتأخرين فما على المتوقف في احدها الّا مراجعة تلك الكتب وامعان النظر فيها وحينذاك تتبين له معانيه وضابط كل معنى منها وما بين بعضها والبعض من التباين او التداخل او التشابه فتظهر له فيها حقيقة الحال وينكشف عنها لباس الاشكال ولو كان لولئك الائمة الاجلاء بين ظهرانينا وعرض عليهم ما نضدته تلك الكتب ما يتعلق بتلك الاحرف ما وسعهم الّا قبوله والانصياع له بحيث يزول الشيء الذي في قلب

الفراء وتذهب الحزازات التي في صدر الكسائي ويشفى رأس اليزيدي من الصداع وكبد الزمخشري من النزوح ولكن العذر لامثال هؤلاء الائمة في الوقوف أنّ غالبهم كانوا يأخذون الاحكام النحوية بطريقة ليست في وسعنا الآن لضيق عطننا وفي طريقة الاخذ والاستنباط من اوجه الاستعمالات واحوال التراكيب التي نطقت بها العرب ملوكهم وسوقتهم لا فرق بين الفريقين في ان كلاً منهما حجة يستشهد بكلامه فلم يكن من غرضهم الا الاحكام وتأسيس القواعد وادخال المتفرق في جامع وحدة الحكم فلم يعبأوا بتكثير الاقسام ولا بالفروق الدقيقة التي بينها تقديماً للاهمّ على المهمّ ولم تساعدهم اوقاتهم على الاجتهاد في ذلك فلما جاء المتأخرون بعدهم ورأوا الاحكام مستنبطة والقواعد موسّسة كان جلّ همّهم النظر فيها بايضاح مشكلها وتفصيل مجملها وتقييد مطلقها وغير ذلك ودقّقوا البحث فيما لم يتأتّ للمتقدمين النظر فيه حتّى تكفلوا ببيان ما فاتهم بل كثير منهم خالفوا المتقدمين واستنبطوا أحكاماً فيها جواز شيء ما منعوهُ او امتناع شيء ما جوّزوهُ كما يعلم بالاطلاع على كتبهم والتبصّر فيها . واما رسم كتابة الهمزة الذي في عنق الاصمعي منهُ عدّة فهو موضع غاية الايضاح ببيان مواقعها واحوالها وحكم رسمها في كل موضع وفي كل حالة في كتب الرسم التي أجلها (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الاصول الخطية) للعالم اللغوي المرحوم الشيخ نصر ابي الوفاء الهوريني و(رقم العلم في رسم القلم) لحضرة العالم الفاضل علي بك رفاعه بحيث لو كان الاصمعي حيّاً ورأى ما في هذين الكتابين من التحقيقات والتفصيلات وبيان حكم رسم الهمزة في كل موضع من مواضعها وفي كل حالة من احوالها لم يبقَ للعدة اثر في عنقه

والثاني ان من يتعرض لبيان معاني كل حرف من تلك الاحرف واحوال رسم الهمزة يضطر الى استيفاء الكلام عليها واعطاء كل منها حقهُ وذلك يستدعي مجلداً ضخماً لا رسالة تنشر في جريدة علمية وقد اشار الى ذلك مؤلف كتاب الساق على الساق حيث قال بعد سرد تلك الجمل في الفصل الحادي عشر من الكتاب الاول ما معناهُ « وبالجملة اذا تعمد الطالب استقصاء معرفة حرف واحد من هذه الاحرف وجب عليهِ ان يترك جميع اشغاله ومصالحه ويعكف على ما قيل فيهِ اعتراضاً وجواباً وما قيل أعط العلم كلّك يعطك جزأهُ الا لاجل ذلك »

ولعلّ ما ذكر هو السبب الذي دعا حضرات قراء المنتطف الكرام الى عدم الاجابة عن هذا الاستفهام فنرجو من حضرة صاحبهِ الفاضل قبول المعذرة

غير انهُ قال في ديباجة كلامهِ « ليس في تاليف النحاة القدماء والمحدثين فروق الا الايجاز

او التطويل والتقديم او التأخير» ونحن لا نسلم له ذلك فانهُ ان كان مرادهُ ان تآليف المتقدمين فيها ما في تآليف المتأخرين وانما اختلفتا بما ذكرنا فالاطلاع على كتب الفريقين يظهر خلاف ذلك وان كان مرادهُ أن ما في تآليف المتقدمين بمنزلة النواة التي فيها بالقوة كل الثمرات التي ستنتج عنها فانما يسلم له ذلك في بعض المسائل لا في جميعها ففي تآليف المتأخرين كثير من المسائل التي زادت وليس بينها و بين المسائل المقررة في كتب المتقدمين نسب ولا قرابة ولا تجمعها معها ادنى جامعة بل اضافها الاستكشاف وولّدها احتكاك الاذهان سواء ابطلت سابقتها او زادت في كفائتها بل لو نظرنا لكتب المتأخرين فقط بعضها مع بعض كشرح الحاجبيّة للرضي ومغني اللبيب لابن هشام الانصاريّ لوجدنا في كل واحد منها من فرائد المسائل وفوائد الاحكام ما ليس في الآخر بل لو نظرنا لمؤلفات شخص واحد منهم كالالفيّة والكافية والتسهيل والفوائد النحويّة للامام ابن مالك لرأينا فيها مثل ذلك فان الالفيّة فيها من المسائل ثلث ما في الكافية او نصفهُ والكافية فيها نصف ما في التسهيل او ارجح قليلاً والتسهيل فيهِ نصف ما في الفوائد النحويّة او اكثر قليلاً كما ذكرهُ الجلال السيوطيّ في اواخر نكته فهل يمكن ان يُدّعى انهُ لا فرق بين هذه الكتب الاربعة الاّ بما ذكر

واني لم اقصد بذلك كلهِ الاعتراض على حضرتهِ وانما اردت ان اعرض عليهِ وعلى القراء ما عسى ان يكون مقبولاً لديهم ما يكون فيهِ ابداء المعذرة ورفع الابهام عما جاء بهِ الاستفهام

طهطا احمد رافع

اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر

حضرة الدكتور بن منشي المقتطف الاغر

لقد طالعت ما ورد في الجزء الثاني من المقتطف بقلم حضرة توفيق افندي عزوز الذي اراد ان يفنّد قول العلاّمة ابن خلدون و يثبت ان اهل الحضر اقرب الى الخير من اهل البدو . وما ورد في الجزء الثالث بقلم حضرة م . ي الذي اراد ان يوفّق بين ما ذهب اليهِ ابن خلدون من ان الحضارة لا تأول الى تكثير الخير والفضائل والى ما ذهب اليهِ المقتطف من انها تأول الى ذلك اي ان يجمع بين النقيضين

وقد عجبتُ من حضرة م . ي لانهُ لم يرَ التناقض الصريح بين الرأيين اللذين ذكرتهم في استفهامي فان ابن خلدون ذكر اموراً جزئيّة تدلّ على فساد الاخلاق باستحكام العمران وما يدعو اليهِ من الترف ثم استنبط من هذه الامور الجزئيّة قضيّة كليّة وهي ان اهل البدو

اقرب الى الخير من اهل الحضر فكأنه قال اننا لا ننكر وجود الخير في البداوة والحضارة ووجود الشر فيهما ايضاً ولكننا اذا قابلنا بين الحالتين من كل وجوههما وجدنا الخير اقرب في البداوة منه في الحضارة وعليه فكلما ارتقى الناس في الحضارة زادت الشرور بنوع عام وكان مصير العمران الى الفساد والدمار. وهذا على ضدّ ما ذهب اليه المفتطف ورجحه ترجيحاً بتولو والمرجح ان سبيل البشر الحالي آيل الى ارتقاء نوعهم رغماً عما يُرى فيه من الشرور والمفاسد. ثم اثبته بذكر العوامل الطبيعيّة التي تأول الى هذا الارتقاء كالمباحث العلميّة وتعليم النساء واطلاق الحريّة لهنّ ليفضلنَ الرجل الاديب على السفيه والقوي على الضعيف والعالم على الجاهل فيقل نسل السفهاء والاشرار رويدًا رويدًا الى ان ينقطع وتبقى الارض للصالحين وهذه غاية العمران

وقد عجبتُ من تقاعد الكتّاب الكرام عن تعزيز رأي ابن خلدون مع انني اجد الادلة متوفرة على صحته فان العمران الشائع الآن في اوربا واميركا يأول الى كثرة التعب والهم وضعف الصحة وقلة النسل

ويظهر في اول الامر ان التعب قلّ بزيادة العمران لان الذي كان يسافر ماشياً على رجليه او راكباً بعيرًا او فرسًا او حمارًا صار يسافر في سكة الحديد بسرعة الطير ولا يشكو تعباً ولا مشقةً والذي كان يقضي الشهور الطوال على نسخ كتاب صار يبتاع نسخة مطبوعةً منه بأبخس الاثمان. وقس على ذلك اكثر الاعمال التي سهلت بواسطة المكتشفات الحديثة ولكن هل اكتفى الناس بهذه الراحة الجسديّة ولم يروا انها مضرّة بهم وانهم مضطرون ان يروّضوا ابدانهم بالاعمال الشاقة التي لا تجدي نفعاً ماديًا لكي يعوضوا عن الراحة الكثيرة التي اضرّت بهم ألا ترى ان الغني الذي يتنزّه راكباً في مركبته يضطر لحفظ صحته ان يشقق الحطب بالفاس او يركس الجبنة بالمعول او يسابق الاولاد على العابهم الرياضيّة. فعلى مَ لا يتنزّه ماشياً ويستغني عن تشقيق الحطب وركس الارض ومسابقة الاولاد. ويظهر من مقابلة احوال المترفهين الصحيّة باحوال الذين يتعبون ويكدحون في الاعمال البدنيّة الشاقة ان صحة هؤلاء اجود من صحة اولئك وبنيتهم اقوى وراحتهم اوفر. هذا من قبيل التعب البدني اما التعب العقلي فالمتعلمون اوفر تعباً من غيرهم بما لا يقدّر ولا اظنني احتاج الى تعداد الشواهد على ذلك لاسيّما وان البيمارستانات في اوربا واميركا قد امتلأت من الذين اختلت عقولهم لكثرة اجهادها وقس على ذلك الهم وضعف الصحة. اما قلة النسل فيكفي فيه النظر الى اهالي فرنسا الذين لا تزيد مواليدهم على وفياتهم. ومتوسط الوفيات في اوربا

واميركا نحو ثلاثين في الالف في السنة وهو في بلدان المشرق اكثر من اربعين او خمسين واذا صحّ ما ذكرهُ المقتطف وصار الحكم للنساء في التزوج امتنع اكثرهنّ عن التزوج مطلقًا فتكون عاقبة هذا التمدن انقراض نوع الانسان مستفاد

المعامل في مصر

حضرة منشئي المُقتطف الفاضلين

انني اطرح على حضرة مناظريَّ الكريمين مسألة ارجو منهما ان يمعنا نظرهما فيها وهي ان الولايات المتحدة الاميركانيَّة تستغلُّ من القطن كل سنة نحو اربعين مليون قنطار تحيك منها في معاملها نحو خمسة عشر مليون قنطار وتصدر الباقي وهو ٢٥ مليون قنطار الى اوربا . فعلى مَ لا تحيك كل القطن الذي يُستغل منها فتربح مئة القناطير المقنطرة مع انها على اتم الاستعداد لعمل جميع الاعمال من حيث توفر الوقود والحديد ورجال الاختراع والاستنباط . والجواب على ذلك بسيط جدًّا وهو ان اصحاب المعامل في الولايات المتحدة الاميركيَّة يعلمون انهُ لا يمكنهم ان ينسجوا اكثر من مقطوعيَّة بلادهم والبلاد التي تصل اليها تجارتهم وهذا شأن الانكليز والفرنسويين والروسيين والايطاليين فان معامل كل دولة من هذه الدول تغزل وتنسج بقدر مقطوعيَّة بلادها والبلاد التي تصل اليها تجارتها . ومعلوم ان النصيب الاوفر في نسج القطن هو للانكليز لانهم يلبسون قطنًا اكثر من غيرهم بل لان تجارتهم اوسع من تجارة كل الدول . وهذا الامر هو سبب المناظرة العظيمة بين روسيا وفرنسا والمانيا واميركا ومحاولة هذه الدول كلها مسابقة انكلترا وانكلترا تحمي تجارتها بمدرعاتها ونفوذها وهي تنفق كل سنة عشرين مليونًا من الجنيهات لاجل حماية تجارتها وفتح اسواق جديدة لها وحفظ المعاهدات التجاريَّة بينها وبين ملوك اسيا وافريقية ولولا فتح ابواب الهند والصين وبابان وافريقية وجزائر البحر لمنسوجات انكلترا القطنيَّة لبارت تجارتها وخربت معاملها . وقد ابنت في كلامي الماضي ان ثمن كل المنسوجات التي يمكن ان تباع لاهالي القطر المصري من قطن وصوف وحرير وقنب لا يزيد على مليونين من الجنيهات ولعل ثمن المنسوجات القطنيَّة منها لا يزيد على مليون ونصف او مليون وربع . واذا فرضنا ان ما يساوي عشرة غروش من هذه المنسوجات كان يساوي غرشين لمَّا كان قطنًا لا غرشًا واحدًا فقط كما قال حضرة جبرائيل افندي روفائيل فيكون ثمن كل القطن الذي في هذه المنسوجات ثلثمائة الف جنيه وعلى ذلك يكون وزنهُ مئة وخمسين الف قنطار لا غير فاذا نسجت بلاد مصر كل قطنها

استهلت منة ما وزنهُ مئة وخمسين الف قنطار فقط اي ثلاثة في المئة من القطن الذي يستغلّ منها ولزمها ان ترسل السبعة والتسعين جزءًا الباقية الى الهند والصين وجزائر البحر وتناظر تجارة انكلترا واميركا والمانيا وفرنسا وتحمي تجارتها بمدرعاتها . بالله ما امجد هذا الامر لو وصلنا اليهِ نحن او ابناؤنا من بعدنا

وكأني بحضرة المعترض يقول اننا نرخص منسوجاتنا عن منسوجات اوربا واميركا لاننا نكتفي بالربح القليل فيصير اصحاب السفن انفسهم يبتاعون منسوجاتنا ويذهبون بها الى حيث تروج سوقها والجواب على ذلك تلغرافات روتر وهافاس التي ترد يوميًّا مثبتة باغتصاب العمال وبأن اجورهم لا تكفيهم وبافلاس اصحاب المعامل لان أرباحهم لا تفي بنفقات معاملهم هذا في اوربا واميركا حيث المال رخيص والمولون يكتفون اذا ربحت مئتهم اثنين او ثلاثة في السنة فكيف يمكننا ان نرخّص منسوجاتنا عن منسوجاتهم ونربح شيئًا . واني اعلم عن ثقة ان بوار صناعة النسج في القطر المصري والقطر الشامي ليس ناشئًا عن اهمال الصنّاع ولا عن رغبة اهالي مصر والشام في تفضيل البضائع الاوربيّة على البضائع البلديّة بل لان البضائع الاوربية ارخص كثيرًا من البضائع البلديّة واذا رخصنا بضاعتنا حتّى تصير رخيصة مثل البضائع الاوربية لا أرخص منها لم يبقَ للحائك ربحٌ يذكر بل صار كل عمل تقريبًا اربح من الحياكة . وللصناعة والتجارة ميزان غير خاضع لارادة زيد ولا لارادة عمرو بل هو بيد جمهور المشترين وهؤلاء لاتهمهم مصلحة وطنية ولا غير وطنية بل يضع الواحد منهم غروشهُ في يدهِ ويطوف في الاسواق كلها حتّى يجد البضاعة التي يطلبها ولا يشتريها الاّ بأرخص ما يمكن من الاسعار هكذا افعل أنا وهكذا يفعل حضرات المعترضين عليّ

وشكوانا من حيث المصنوعات مثل شكوى الانكليز من حيث المزروعات والمحاصلات الزراعيّة فانهم يجلبون كل سنة من الزبدة ما قيمتهُ نحو اثني عشر مليونًا من الجنيهات ومن الجبن ما قيمتهُ نحو خمسة ملايين من الجنيهات ومن البيض ما قيمتهُ ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات وهم في غنًى عن ذلك كلهِ لو اهتموا بتربية المواشي والفراخ اكثر من اهتمامهم الحاضر ولكنهم لا يهتمون بذلك لانهم يجدون صنائعهم ومتاجرهم اربح لهم لقلة خصب ارضهم الطبيعي

اما ما قالهُ حضرة المعترض الثاني بناء على اقتراح المقطم فاراهُ عين الصواب وهو ان تقلل الحكومة رسوم الجمرك على المواد الاصليّة الواردة من اوربا وتزيدها على ما يُصنع منها تنشيطًا للصناعة الوطنيّة الصغيرة لا الكبيرة اي صناعة الصنّاع لا صناعة المعامل . واعيد هنا

ما اشرت اليهِ سابقًا وهو ان التجار والصناع انفسهم ادرى بطرق الكسب من سواهم فاذا رأوا الوسائط ميسورة لانشاء معمل او لادخال صناعة فعلوا ذلك ولم يستشيروا احدًا . ومن العبث ان نناظر بعض البلدان الاوربيَّة في نسج القطن كما انهُ من العبث ان نناظرهم في زراعتهِ . وفي القطر المصري اسلوب للثروة لا اوسع منهُ وهو الزراعة . وليس في هذا القطر ايادٍ كافية لخدمة الارض الزراعيَّة واجتناء خيراتها كما يعلم كل ارباب الزراعة فعلى مَ نرغِّب الناس عنها في غيرها

م . د

باب الزراعة

فائدة الرماد في الزراعة

للرماد فائدة زراعيَّة تفوق انتظار علماء الزراعة ولهُ فائدة دوائيَّة في علاج المواشي فاذا اطعمت الخيل قليلاً من الرماد افادها كثيرًا . قال بعضهم اني اختبرت ذلك مدة سبع وثلاثين سنة فلم يمت عندي سوى فرس واحد وقد مات في غيابي اما كيفيَّة اطعام الرماد للخيل فهي ان يضاف الى علف الفرس ملعقة صغيرة من الرماد النقي مرتين في الاسبوع . وخيرٌ من ذلك ان تمزج اوقية من الملح بثلاث اواقٍ من الرماد ويوضع مزيجها في زاوية من زوايا المعلف فيأكل الفرس منهما كفافهُ

اما فائدة الرماد عمومًا للارض فمما لا يختلف فيهِ اثنان ولاسيما لان النبات يستفيد من الرماد اكثر مما يقدم لهُ الرماد من مواد الغذاء . وهذا يظهر كانهُ ضرب من المحال لان الامر على الضد من ذلك في بقيَّة انواع السماد اي ان السماد الذي فيهِ رطل من البوتاسا مثلاً لا تأخذ المزروعات منهُ رطلاً كاملاً بل اقل من رطل واما الرماد الذي فيهِ رطل من البوتاسا اذا اضيف الى الارض جعل المزروعات التي فيها تأخذ اكثر من رطل من البوتاسا زيادة عما كانت تأخذهُ قبلاً كأن الرماد لا يكتفي بتقديم ما فيهِ من الغذاء للمزروعات بل يقويها على اخذ مقدار آخر من الغذاء من الارض . وتظهر فائدة الرماد على اشدها في زراعة البرسيم والبطاطس والذرة والفول واللوبياء وما اشبه

وقد اعتاد المزارعون في اكثر البلدان ان يحرقوا ما في اراضيهم من الاعشاب وبقايا النبات وظاهر الامر ان الغرض من ذلك اماتة الحشائش المضرَّة ويزورها ولكنَّ منهُ غرضًا